



نظرية النقل الديدانكتيكي وتطبيقها على المقررات المغربية

(درس النحو نموذجاً)

الباحث زهرة الكليل

كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة

. المغرب

## 1- إشكالية البحث:

لقد عمل النظام التربوي المغربي في إطار مواكبته للمستجدات التربوية على الاستفادة من هذه النظرية وتطبيقها على المقررات الدراسية لتستجيب لخصوصية المتعلم الطبيعية وكذا التحولات الاجتماعية، فإلى أي حد نجح في ذلك؟ وهل استطاع المتخصصون في نقل المعرفة العاملة إلى معرفة قابلة للتدريس (واضعو البرامج والمناهج والمقررات الدراسية ولجان تأليف الكتب المدرسية من أكاديميين ومفتشين ومدرسين...) التحكم في مواءمة المعرفة الخاصة بدرس النحو حسب كل مرحلة تعليمية (التعليم الابتدائي - التعليم الثانوي الإعدادي- التعليم الثانوي التأهيلي)؟

## 2- فرضيات الدراسة

نفترض من خلال الإطار النظري للبحث ونتائج الدراسات السابقة:

- وجود فروق فردية بين داخل الفصل الدراسي (معرفية، سوسيوثقافية، سيوكولوجية...)
- قدرة عمليات النقل الديدانكتيكي على تحويل المعرفة العاملة إلى معرفة بسيطة تراعي خصوصية المتعلمين.
- تعدد طرائق التدريس واختلاف أساليب التدريس من مدرس لآخر.

## 3- أهداف الدراسة

لقد اخترت أن تتمحور هذه الدراسة حول موضوع "النقل الديدانكتيكي للدرس اللغوي" للأسباب التالية:

- تعدد واختلاف الترجمة لمصطلح "النقل الديدانكتيكي" الأجنبي الأصل عند نقله إلى العربية، ما يولد فوضى التعريف والفهم.
- تسليط الضوء على الموضوع على اعتبار أن عملية النقل الديدانكتيكي آلية أساسية لتحقيق التعلم.
- إثراء البحث في مجال الديدانكتيك وعلاقته بالعلوم.



#### 4 - أهمية الدراسة

تتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها تتطرق إلى موضوع خصب يمزج بين حقلين علميين كبيرين (النحو، التربية)، يقدم كيفية نقل النحو كمعرفة عامة إلى معرفة قابلة للتدريس وفق مستوى كل تلميذ، مع وصف شامل للخطوات المعتمدة لهذا الغرض وفق المتخصصين في المجال.

#### 5 - حدود الدراسة

تقتصر هذه الدراسة على وصف المصطلحات الأساسية بالمقال (النقل، الديدانكتيكي، النقل الديدانكتيكي) كما وردت عند ثلة من الباحثين المختصين في المجال التربوي، وكذلك تعريف المفاهيم المنبثقة عنها (المعرفة العامة، المعرفة المدرسة، المعرفة المكتسبة...)، بالإضافة إلى الإلمام بكل جوانب المفهوم (المستويات، المظاهر، المتدخلون)، ومعرفة مدى نجاعة عملية النقل الديدانكتيكي للدرس النحوي عموماً.

#### 6 - منهجية الدراسة

لقد اعتمدت في هذه الدراسة "المنهج الوصفي التحليلي" وذلك من خلال:

1. عرض بعض التعاريف اللغوية والتربوية لمصطلحي النقل والديدانكتيكي؛
- التعريف ببعض المفاهيم المتعلقة بالدراسة، خاصة المفهوم الرئيسي الذي يتمركز حوله موضوع البحث النقل الديدانكتيكي، ورصد بعض تعاريف المتخصصين في المجال التربوي وعلى رأسهم عالم الرياضيات إيف شيفلار Yves Chevallard الذي كان له الدور البارز في إخراج هذا المفهوم إلى الوجود وإقحامه في المجال الديدانكتيكي؛
- رصد التعاريف الخاصة بمفهوم النقل الديدانكتيكي من لدن المختصين في المجال التربوي؛
- تحليل مستويات النقل الديدانكتيكي وربطها بالمستويات الخاصة بالمنهاج الدراسي، وكذا المظاهر التي تستوجب عمليات النقل الديدانكتيكي أخذها بعين الاعتبار، بالإضافة إلى المتدخلين في هذه العملية.
- عرض التجربة المغربية لعملية النقل الديدانكتيكي لدرس النحو، وذلك بهدف معرفة مدى نجاعته على مستوى التعليم الثانوي بسلكيه، مع مقترحات توجه التطبيق الأمثل لتجارب تطوير عملية النقل الديدانكتيكي لدرس النحو بالتعليم الثانوي.



## مقدمة

يعتبر النقل الديداكتيكي مفهوما هاما في المجال التربوي عامة وفي المجال الديداكتيكي على وجه الخصوص، والذي أولاه عالم الرياضيات Y. Chevallard أهمية كبرى حيث ألف كتابا تحت عنوان "النقل الديداكتيكي من المعرفة العاملة إلى المعرفة المدرسة"، ثم ألحقه بمفهوم المسافة، وفحص رفقة الباحثة M. A. Josua التغيرات التي طرأت على المفهوم منذ نشأته إلى حين ولوجه بالمؤسسات التعليمية. ليستنتج أن المعرفة العاملة حين تتخذ كموضوع للتعليم لا بد أن تغير من طبيعتها، حيث يعمل النقل الديداكتيكي على نقل المعرفة من فضاءها العلمي الخالص إلى فضاء الممارسة التربوية لتناسب خصوصيات المتعلمين النفسية وتستجيب لحاجتهم عن طريق تكييفها وفق وضعيات تعليمية.

وقد عمل النظام التربوي المغربي في إطار مواكبته للمستجدات التربوية على تبني هذه النظرية وتطبيقها على المقررات الدراسية لتستجيب لخصوصية المتعلم الطبيعية.

ومن أجل ذلك، سأتطرق في هذا المقال إلى دراسة مفهوم النقل الديداكتيكي من الجانب اللغوي والتربوي، وكذلك تعريفه على يد ثلة من الباحثين التربويين، بالإضافة إلى الإحاطة بكافة الجوانب المتعلقة به، لربطه بالمحور الأساسي موضوع الدراسة "النحو" المشكل في قالب الدرس اللغوي بالمقررات الدراسية المغربية الخاصة بالسلك الثانوي.

## 1 التعاريف اللغوية والتربوية للنقل الديداكتيكي

## 1-1 تعريف النقل:

لغة: مصدر نقل، تحويل الشيء من موضع إلى موضع آخر - ترجمة. والجمع أنقال ونقول<sup>1</sup>.

## 1-2 تعريف الديداكتيك

لغة: لفظ قديم أصله من الكلمة اليونانية Didaktikos وتعني كل ما يختص بالتدريس والتعليم. ويقصد بالديداكتيك علم التدريس، أو فن التدريس، التدريسية أو علم التعليم.

اصطلاحا: عرف الباحث المغربي محمد الدريج الديداكتيك بكونه «الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته، ولأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ في المؤسسة التعليمية، قصد بلوغ الأهداف المسطرة مؤسسيا، سواء على المستوى العقلي أو الوجداني أو الحسي - الحركي، وتحقيق لديه المعارف والكفايات والقدرات والاتجاهات والقيم»<sup>2</sup>.



ويمكن اعتبار الديدائكتيك مجموع المناهج والطرائق والتقنيات والإجراءات المتخذة في تدريس المواد التعليمية أو في تدريس مادة معينة، وعلى هذا الأساس يمكن أن نفرق بين نوعين أساسيين من الديدائكتيك؛ الديدائكتيك العام والديدائكتيك الخاص<sup>3</sup>.

رغم ما يكتنف تعريف الديدائكتيك من صعوبات، فإن معظم الباحثين ربطوا هذا المفهوم بعملية التعليم من حيث الطرائق والتقنيات والأساليب والمنهجيات الخاصة بها. وتمكن أهمية التعريف بهذا المفهوم نظرا لكون موضوعه يشمل تحديد طبيعة العلاقة بين أطراف المثلث الديدائكتيكي \_ والذي سيكون موضوع حديثنا في الفصل الثالث \_ كموضوع عام ينبثق من تفاعل بين مكونين من مكوناته (المدرس، المعرفة) النقل الديدائكتيكي.

### 1-3 تعريف النقل الديدائكتيكي

عند إيف شيفلار

لقد اُغتُمِدَ النقل الديدائكتيكي كمفهوم أساسي في ديدائكتيك الرياضيات مع شيفلار الذي استعمل هذا المفهوم في كتابه النقل الديدائكتيكي من المعرفة العاملة إلى المعرفة المدرسة **La Transposition** **Didactique du savoir savant**<sup>4</sup>. سنة 1991، حيث خصص الفصل الأول للتعريف بالنقل الديدائكتيكي كما يلي:

#### ما هو النقل الديدائكتيكي

يتكون أي مشروع تعليمي علمي اجتماعي بشكل ديدائكتيكي من تحديد وتعيين محتوى المعرفة كمحتوى قابل للتدريس.

محتويات معرفة معينة بعد عمليات النقل تصبح معرفة قابلة للتدريس، وهي بهذا الشكل تتطلب قدرة على التحويل مما يجعلها فعلا إبداعات ديدائكتيكية حقيقية يتم ابتكارها لتلبية حاجات التعليم. (كان هذا هو الحال على سبيل المثال في التعليم الثانوي الفرنسي مع «COS» و«SIN»).

يخضع محتوى المعرفة الذي تم تعيينه كمعرفة قابلة للتدريس لمجموعة من التحولات التي تجعله متكيفا لأخذ مكانة ضمن موضوعات التدريس، والعملية التي يتم بها تحويل موضوع المعرفة إلى معرفة مدرسية تسمى نقلا ديدائكتيكا.

يمكن تسمية الانتقال من المحتوى الدقيق للمعرفة إلى نسخة ديدائكتيكية لهذا العنصر المعرفي ببساطة «النقل الديدائكتيكي» بالمعنى الضيق. لكن الدراسة العلمية لعملية النقل الديدائكتيكي (والتي تعد بعدا أساسيا لديدائكتيك الرياضيات) تفترض الأخذ بعين الاعتبار النقل الديدائكتيكي بالمعنى الواسع والذي تمثله الخطاطة التالية.



الموضوع المعرفة ← ← الموضوع القابل للدراسة ← الموضوع المدرس.

Objet de savoir      Objet à enseigner      Objet d'enseignement

حيث يشير الرابط الأول إلى الانتقال من الضمني إلى الصريح من الممارسة إلى النظرية من الإنشاء المسبق إلى البناء.

فيما يلي مثال يوضح الحركة المقدمة في خطاطة النقل الديداكتيكي:

- يتم استخدام فكرة المسافة (بين نقطتين) تلقائياً منذ ذلك الحين؛
- تم تقديم المفهوم الرياضي للمسافة سنة 1906م بواسطة موريس فريشييه (موضوع المعرفة الرياضية)
- في الدورة الأولى من التعليم الثانوي الفرنسي ظهر المفهوم الرياضي للمسافة الناتج عن تعريف فريشييه في عام 1971 في برنامج الفصل الرابع (موضوع قابل للتدريس)؛
- الاعتماد الديداكتيكي الخاص به سيختلف في السنوات الموالية لِيُعَيَّن كموضوع قابل للتدريس، فالعمل الخاص بالنقل استثمر منطلقها.

وعموماً فالنقل الديداكتيكي ينحصر في العمل الذي نقوم به عندما نحول معرفة عالمة *Savoir savant* إلى معرفة قابلة للتدريس، مع مقارنة ما يحدث للمعرفة أثناء هذه العملية<sup>5</sup>.

يبدو من خلال المعنى المستنبط من الترجمة السابقة أن الباحث إيف شيفلار باعتباره أول من أبرز مصطلح النقل الديداكتيكي إلى الوجود خاصة في حقل ديداكتيك الرياضيات، نُحِث هذا المصطلح وطبقه في تدريس الرياضيات بعد معاناة واستقراء التغيرات التي تطرأ على مفهوم المسافة *notion de distance* بين لحظتين زمنيتين لحظة 1906م حين وقع إدراجه كمعرفة علمية *savoir savant* من قبل موريس فريشييه، ثم لحظة 1971م عندما أدرج في مقرر الهندسة، ولم يلبث أن استمر لاحقاً في مجال البيولوجيا من طرف *Devellay M.* و *G. Rumelhard* خلال دراستهما لموضوع الذاكرة ومفاهيم علم الوراثة<sup>6</sup>.

وتعد عبارة "النقل الديداكتيكي" من بين أقدم العبارات، وقد مكن استعمالها من تعديل معناها بشكل واسع، وذلك منذ إدراجها سنة 1980. وما تم الاحتفاظ به من تأمل إيف شيفلار *Yves chevallard* 1982 حول المسألة، هو التمييز بين "المعرفة العالمة" كما تبرز في البحث الأكاديمي، و"المعرفة التي يصادفها الملاحظ في الممارسات الفصلية"<sup>7</sup>



فالباحث إيف شيفلار ركز في تعريفه للنقل الديدائكتيكي على عملية تحويل المعرفة العاملة كما أنتجها العلماء المختصون في سياق علمي أو اجتماعي معين، حتى تصبح المعرفة قابلة للتدريس، وفق شروط تملئها حاجات المجتمع. ومن هنا قسم الباحث التربوي عبد الرحمان التومي النقل الديدائكتيكي إلى نوعين<sup>8</sup>:

**نقل خارجي:** وهو انتقال من المعرفة العاملة المنتجة من طرف المختصين إلى معرفة المدرسية، وتهم بالأساس تحويل المعرفة إلى برامج دراسية في إطار مناهج صريحة أو ضمنية.

**نقل داخلي:** وهو انتقال من المعرفة المدرسية إلى المعرفة المدرسية، وتهم تحويل البرامج الدراسية إلى محتويات تعليمية فعلية، والتي يتمتع فيها الأستاذ بهامش من الاجتهاد والإبداع.

وأضاف الباحث كون التعريف السابق أغفل دور المتعلم كعنصر بارز في عملية التحويل التي تخضع لها المعرفة، والذي يكمن في قيامه بعملية نقل ديدائكتيكي عند بنائه واكتسابه للمفاهيم المطروحة. فالمعرفة المكتسبة تختلف من متعلم إلى آخر تبعاً للقدرات العقلية والمعرفية لكل متعلم، وكذا المستوى تكيفه مع الطرائق والتقنيات والممارسات البيداغوجية للمدرس.

وفي هذا الإطار، ميز الباحث عبد الكريم غريب بين مفهومي المعرفة والدراية – متبنياً بذلك العلاقة الجدلية التي أشار إليها (كون Conne، 1992) – فيقصد بالدراية كلاسيكياً تلك الدرايات التي تم تشكيلها ووصفها في البرامج، بخصوص تطور المشروع التعليمي التعليمي الذي يلتقي حوله كل من التلاميذ والمدرس.

يهتم النقل الديدائكتيكي بتحويلات الدرايات؛ فالأمر يتعلق في معناه الأصلي، بعمليات خارجة عن الذات المتعلمة. وتوصف الدرايات المدرسية في برامج ومناهج التكوين وذلك في أفق جعلها مستقبلاً، بمثابة معارف لدى التلاميذ. إن منطق الدرايات يحترم تنظيم المواد المدرسية؛ وهو يتدرج ضمن تقدم وهيكل المضمين وداخل قصيدة العمل.

أما المقصود بالمعارف حسب الباحث، كل ما يرتبط بالذات، نتيجة عملية النمو أو التعلم. وبمر بناء المعارف في السياق المدرسي، عبر تحويل الدرايات إلى معارف. ومعارف التلاميذ لا يتم بلوغها مباشرة؛ فهي لا تحصل إلا بوسائط، مثل الإنتاجات اللغوية المكتوبة أو الشفوية وخطوات حل المشكلات أو معالجة المهمات<sup>9</sup>.

من خلال التمييز الذي قدمه الباحث عبد الكريم غريب، نستنتج أنه ربط مفهوم الدراية بما قبل تعلم الذات وهو ما يمكن ربطه بالنقل الخارجي، بينما اعتبر مفهوم المعارف خاص بما يتعلمه التلميذ، وهو بذلك يصنفه ضمن النقل الداخلي للمعرفة.



ومن هنا يمكننا اعتبار أن ما كل يقوم به المتعلم من استيعاب وإدراك فسمنا ثانيا للنقل الداخلي، حيث إن المتعلم خلال مرحلة اكتسابه للمعرفة المدرسة خاصة يواجه وضعية مشكلة جديدة أو غير مألوفة تجعله في حالة غير متوازنة وتعمل على خلخلة المعارف والتمثلات السابقة فيدخل في صراع معرفي. فكيف تبنى المعرفة من قبل المتعلم؟

### عند بياجى

يمكن إدراج ما تحدث عنه جان بياجى في نظريته البنائية التكوينية Structuralisme génétique في إحدى مراحل النقل الديداكتيكي، وهي مرحلة انتقال المعرفة المدرسة إلى معرفة مكتسبة أو معرفة مستوعبة من طرف المتعلم، أو بتعبير آخر كيفية بناء المعرفة، حيث اعتبر أن بناء المعرفة يتم عن طريق التفاعل بين الذات والموضوع أي بين الفرد ومحيطه<sup>10</sup>.

من خلال هذا التفاعل يبدو أنه لا بد من تداخل عوامل نفسية معرفية حتى يصل المتعلم إلى استيعاب المعرفة، ومن هنا يميز الباحثون حسب عبد الرحمان التومي بين نوعين من الصراعات في علاقتهما ببناء المعرفة<sup>11</sup>:

- **الصراع المعرفي الداخلي** المرتبط بالشخص في علاقته بالمعرفة، ويحصل ذلك عندما يواجه المتعلم معلومات جديدة لا تنسجم مع بنياته المعرفية القديمة. حيث تقوم التمثلات بدور الوساطة في التعلم والاكتساب وتحصيل الكفايات والقدرات التعليمية، باعتبارها "استحضار المتعلم لمجموعة من الأشياء والمواضيع من جديد في أثناء مواجهة الوضعيات التعليمية الصعبة والمعقدة والمركبة، أو الاستعانة بها وتمثلها تطبيقيا في حل المسائل التي تقدم للمتعم بصفة خاصة"<sup>12</sup>.

ويتأسس منطق الصراع المعرفي على النظرية التكوينية لبياجى J. Piaget، والتي ترى أن الاضطراب المعرفي (حالة اللاتوازن) الذي ينتج عن المواجهة الفردية للمعرفة، يدفع المتعلم إلى إعادة ترتيب تمثلاته بغرض استتصام جملة من العناصر التي تستوجبها الوضعية الجديدة، فيحدث التعلم.

غير أن مجموعة من الباحثين، أمثال دواز W. Doise ومينيى G. Mugny وغيرها، لاحظوا أن هذه النظرية لم تأخذ بعين الاعتبار العامل الاجتماعي في عملية النمو المعرفي للمتعم لكونها تقتصر على النمو الداخلي الفردي للبنيات العقلية، وكأن الأمر يتعلق بنمو له منطق خاص معزول عن التأثيرات الاجتماعية الناجمة عن التفاعل بين الأفراد. من هذا المنطلق ظهر مفهوم جديد ساهم في إغناء النظرية التكوينية لبياجى، يتعلق الأمر بالصراع السوسيو-معرفي.

- **الصراع السوسيو-معرفي**: وهو مفهوم يعبر عن أهمية التفاعل الاجتماعي بين الأفراد في عملية بناء المعرفة وتطوير البنيات الذهنية. وينتج حسب ديوبوا L. Dubois وداكو P. CH. Dagau، عن مواجهة بين تمثلات عدة أشخاص في وضعية تفاعل حول موضوع معين<sup>13</sup>.



كما يرى w. Dois ومينيبي G. Mugny أن الصراع السوسيو-معرفي هو اختلاف في الأجوبة أمام مشكل معرفي. بحيث تؤدي المواجهة بين الأجوبة إلى إعادة ترتيب البنيات المعرفية الداخلية للفرد. ومن ثم لا يمكن للفرد إغناء تعلماته ومكتسباته وكفاءاته وتطويرها وتقويتها إلا في فضاء تفاعلي متعدد ومتنوع ومختلف، يتميز بالصراعات السوسيو-معرفية. ويعني هذا أن التعلم من طبيعة اجتماعية محضة، وليس من طبيعة فردية. وبالتالي فهذه المعرفة نتاج التفاعلات الصفية بين الأفراد. ومن ثم، فالصراع السوسيو-معرفي مصدر أساسي للتعلم والاكتماب وتطوير القدرات الذاتية الفردية داخل منظومة ديدانكتيكية جماعية. وبذلك يتحقق التعلم بتجاوز اللاتوازن الفردي إلى التوازن الجماعي<sup>14</sup>.

وفي السياق نفسه، يصف الباحثان وضعيات التفاعل التي تنتج عنها الصراعات السوسيو-معرفية بتأكيدهما على أن "الصراع يحدث، في غالب الأحيان، أثناء لقاءات بين أفراد لا يملكون نفس بنيات الأجوبة"<sup>15</sup>.

وعلى بؤرة التفاعل بين الفرد ومحيطه ذكر الباحث التربوي ميلود التومي أن بياجي شيد صرح النظرية التكوينية الذي يقوم على الدعائم التالية<sup>16</sup>:

- أن التعلم نتيجة تفاعل بين الفرد ومحيطه.
- أن هذا التفاعل يتم بفعل الفرد في المحيط، وتسمى هذه العملية استيعابا Assimilation الذي يقصد به "تأويل معطيات الموضوع الخارجي واستدخالها في الأطر المعرفية القبلية للذات العارفة. وهذا يعني أن المتعلم يؤثر في الموضوع بواسطة تمثلاته. ذلك أن العضو كلما تفاعل مع أعضاء أو طاقات المحيط إلا واستدخلها في بنياته الذهنية، وبفعل المحيط في الفرد، وتسمى هذه العملية تلاؤما Accommodation أي "تحويل الأطر المعرفية وتعديلها وفق المعطيات الجديدة خلال تأثير الموضوع على الذات"<sup>17</sup>.
- أن التعلم لا يحدث إلا إذا تحقق التوازن بين الاستيعاب والتلاؤم، ويسمى هذا التوازن تكيفا Adaptation.

- أن التعلم بناء يشيد بالتدرج موازاة مع مراحل النمو.
- بالموازاة مع تصور بياجي لبناء المعرفة ترى الباحثة زهرة بوخاتي أن النقل الديدانكتيكي في هذا الإطار يجاري في مفهومه معنى التمثلات والتي تعني مجموع الأحكام أو الأفكار المسبقة والأولية، والتي يكونها المتعلم حول موضوع ما أو شخص معين، لها عمل على التأثير في موضوع تعليمي جديد، مما يؤثر حتما على مردودية المتعلم وكيفية تحليله للمحتوى الدراسي المقترح عليه من أجل توظيف العمليات الذهنية، والإستراتيجية التعليمية والموارد اللازمة لإنجاز المهمة المنوطة به، ألا وهي حل المشاكل معتمدا في ذلك على تعلمه الذاتي، مستحضرا تمثلاته ومعارفه ومكتسباته السابقة<sup>18</sup>.





### عند فيري وآخرين

يعتبر ميشال فيري M. Verret من الأوائل الذين استعملوا مفهوم النقل الديداكتيكي، حيث أقحمه في مؤلفه Le Temps des etudes سنة 1991، وتحول هذا المفهوم ليصبح موضوع اهتمام كبير من طرف المشتغلين بحقل الديداكتيك؛ فانتشر بالتالي توظيفه بصورة مكثفة في أغلب الأبحاث المنتمية في هذا الحقل العلمي الناشئ<sup>19</sup>.

فالمعرفة العاملة تتضمن سياقاً معيناً (سوسولوجي، تاريخي، علمي...)، وحتى تصبح المعرفة قابلة للتدريس يؤكد J. Verret في كتابه Le Temps des etudes أنه لا بد لها من:

- التجرد من السياق Décontextualisation du savoir
- تجاوز الطابع الشخصي Dépersonnalisation du savoir
- القابلية للبرمجة Programmabilité du savoir
- الإشهار والتوزيع

وهكذا عمد فيري إلى بيان ما يحدث على مستوى العلوم الإنسانية؛ بحيث تتحول المعرفة العلمية، التي توصلت إليها العلوم، إلى مجرد معرفة يغلب عليها الطابع المعياري الإيديولوجي، بعد أن يتم إخضاعها إلى المتطلبات التعليمية التي تتمثل في ضرورة إقحام بعض القيم السوسيوثقافية المطلوبة اجتماعياً.<sup>20</sup>

أما **Arsac. G** فيتفق مع إيف شيفلار في كون مفهوم النقل الديداكتيكي يتمثل في: "مجموع التحولات التي تطرأ على معرفة معينة في مجالها العالم Savoir Savant من أجل تحويلها إلى معرفة تعليمية قابلة للتدريس"<sup>21</sup>. انطلاقاً من هذا التعريف يظهر أن المعرفة تخضع لمجموعة من عمليات التحويل عبر سيرورتها (التصنيف، الترتيب، إعادة الهيكلة...) حتى تصبح المعرفة قابلة للتدريس.

وفي هذا السياق يعرف بلونشي فيليب PH. Blanchet النقل الديداكتيكي في المجال التعليمي التعليمي بكونه: عملية مركبة تتطلب انتقاء وتكييف وتنظيم المعارف والممارسات العلمية والاجتماعية المرجعية لتصير أهدافاً ومحتويات تعليمية تبعاً لحاجات وأشكال التعلم المستهدفة<sup>22</sup>.

ولكي يشمل النقل الديداكتيكي المواد التي لا تحتل فيها المعرفة العلامة مكانة أساسية والتي لا تتوفر على مرجعية في المعرفة العلامة مثل الإعلاميات والتكنولوجيا والتربية الفنية والرياضة والتكوين المهني اقترح كل من F Mortinand 1986 و M A Joshua 1996 تمديد مفهوم النقل الديداكتيكي ليشمل معارف الخبرة Savoir Experts والممارسات المرجعية<sup>23</sup> Pratique de reference.



## 2 مستويات النقل الديدانكتيكي:

اعتبر الباحث إيف شيفلار أن المعرفة عموماً تمر بعدة مسارات أثناء انتقالها إلى المتعلم<sup>24</sup>:

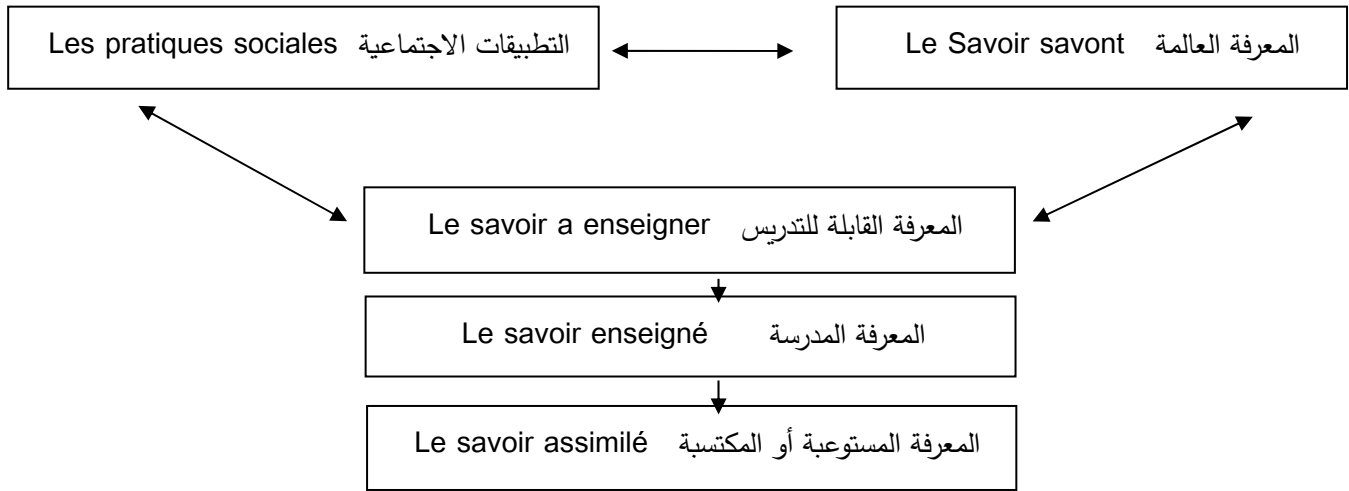
- **المعرفة العامة Savoir savant**: هي المعرفة العلمية التي أنتجها الباحثون المختصون فهي معرفة مجردة ومعقدة وغير قابلة للتدريس وفق شكلها الأصلي، إذ يصعب إدراكها من طرف التلميذ، لذا استدعى - لمقتضيات تعليمية- نقلها من إطارها العام إلى إطار ديدانكتيكي. إلا أن عملية النقل هذه تؤثر على قيمة المعرفة.
  - **المعرفة المدرسية Le Savoir à enseigner**: المعرفة المراد أو الواجب تدريسها وهي معرفة مغلقة يتم اشتقاقها عن طريق النقل الديدانكتيكي أي تحويل المعرفة إلى مناهج منتظرة تحدد الغايات والأغراض والأهداف التعليمية، وتعمل البرامج التعليمية والكتب المدرسية ووثائق التوجيهات التربوية والمذكرات الوزارية على الترجمة الإجرائية لمقتضياتها.

إذن، فحيث إن المعرفة المدرسية معرفة هدفها خدمة مشروع مجتمعي ترسم معالمه السياسة التربوية والتوجيهات الرسمية مما يبرر عملية الانتقاء التي تخضع لها هذه المعرفة.

  - **المعرفة المدرسة Le savoir Enseigne**: أي المعرفة المتداولة في القسم، وهي معرفة تستقي محتواها من المعرفة الواجب تدريسها وتمثل في ما يقدمه المدرس لمتعلميه داخل القسم (هامش تدخل الأساتذة: اقتراحاتهم، خططهم، ابداعاتهم -اعتماداً على المعرفة المدرسية- المنهاج الدراسي، الكتب المدرسية، التوجيهات التربوية، المذكرات الوزارية، الملتقيات التربوية والتكوينية...).
  - **المعرفة المكتسبة Le savoir Acquis** أي المعرفة التي اكتسبها التلميذ، وهي معرفة لا تعكس بالضرورة ما درسه الأستاذ، حيث إن التلميذ في محاولته لاكتساب المعرفة المدرسة من طرف الأستاذ، يمارس بدوره عملية ذهنية على ما يتلقاه أي يؤول ويعيد تنظيم مكتسباته وفق تصور جديد.
- وقد اقترح الباحث جان لوي مارتنان J.L.Martinand1986 بالإضافة إلى المستويات المذكورة مفهوم الممارسات الاجتماعية ذات الإحالة المرجعية، حيث اعتبر أنه لا يمكن تحديد محتوى تعليمي على مجرد إخضاع معرفة جامعية (عامة) لوضعية تعليمية ومحدداتها (تلاميذ، أهداف...); إذ يجب على العكس من ذلك، بلورة المحتويات المدروسة، انطلاقاً من الممارسات الاجتماعية والاقتصادية والتقنية والثقافية، التي تعتبر وحدها هي الكفيلة بإعطاء معنى لهذه المحتويات.



يمكن تلخيص هذه المراحل في الترسيم التالية:



(ترسيمة مقتطفة من كتاب تدريس المواد التعليمية لمحمد التوري ص 14)

وقد حاول الباحث التربوي علي آيت أوشان في معرض حديثه عن النقل الديداكتيكي توضيح العلاقة بين هذا المفهوم وبين مفهوم المنهاج، حيث أشار إلى مسألة أساسية تكمن في استحالة إمكانية فهم المستويات المذكورة سلفاً إلا بالحديث عن المنهاج، فكما تستدعي المقاربات الديداكتيكية الحديثة وجود مستويات متعددة داخل مجال النقل الديداكتيكي: (المعرفة العلمية - المعرفة الواجب تدريسها - المعرفة المتداولة في القسم - المعرفة التي يكتسبها المتعلم)، فكذلك المنهاج يتضمن مستويات: (المنهاج الرسمي - المنهاج المنفذ - المنهاج المقرر - المنهاج المحصل).

ولربط مستويات المنهاج بعمليات النقل الديداكتيكي لا بد من تعريف مصطلح المنهاج (Curriculum)، حيث عرف هذا المصطلح تعاريف كثيرة تصل حد التباين منها كونه "مجموع تجارب الحياة الضرورية لنمو التلميذ" وبكونه أيضاً "جملة ما تقدمه المدرسة من معارف ومهارات واتجاهات... لمساعدة المتعلم، على النمو المتوازن والسليم في جميع جوانب شخصيته"<sup>25</sup>.

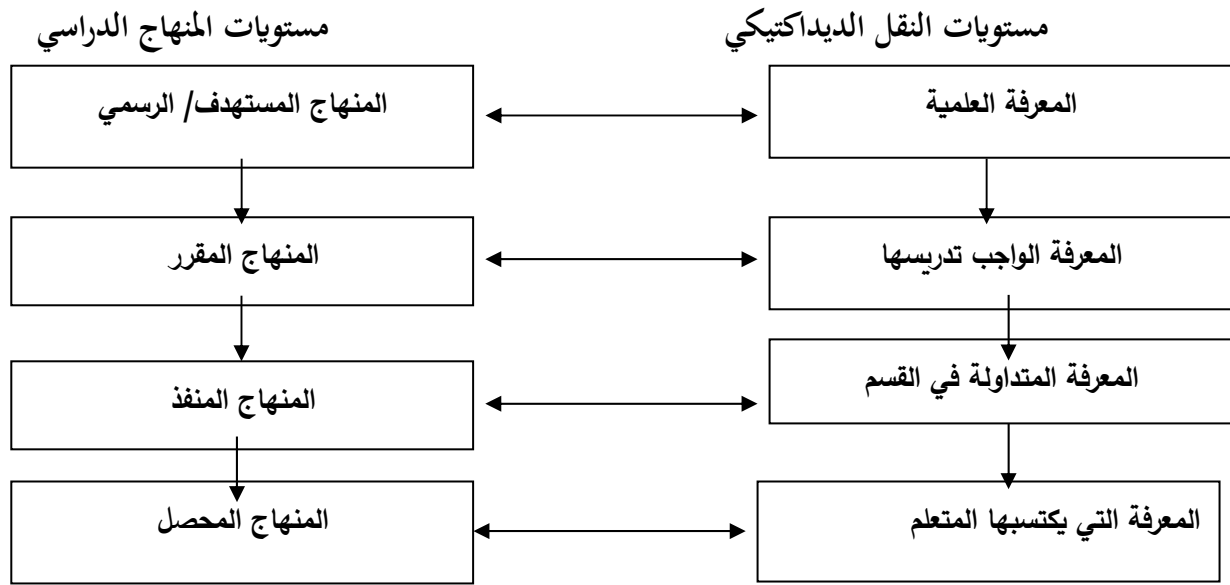
ولتجنب الالتباس قدم الباحث علي آيت أوشان خلال مداخلة في ندوة علمية تعريفاً شاملاً، حيث اعتبر أن المنهاج يتمثل في "التخطيط للعملية التعليمية التعلمية من بدايتها إلى نهايتها"<sup>26</sup>.

كما يطرح بخصوص تعريف المنهاج وتحديد طبيعته، إشكال آخر يرتبط بالمسافة بين اتخاذ القرار وتنفيذه. الأمر الذي جعل العديد من الباحثين يميزون في تصنيفهم للمناهج بين المستويات التالية:<sup>27</sup>

- **المنهاج المستهدف / الرسمي:** أي الذي تنصده المبادئ والمثل العليا والقيم والأهداف العامة من خلال التوجيهات الرسمية لمنظومة التربية والتكوين على الصعيد الوطني؛



- المنهج المقرر: المتمثل في الكتب المدرسية والذي يأتي مضمونه أقل من المنهاج المستهدف؛
  - المنهاج المنفذ: والذي يتم تدريسه فعلا داخل الفصل الدراسي فتراجع نسبته عن المنهاج المقرر؛
  - المنهاج المحصل: وهو الحصيللة في الأخير لدى المتعلم وتقيسه الاختبارات النهائية والذي لا يزيد "حجمه" في المتوسط عن 40% ن المنهج المنفذ.
- ولتفسير العلاقة القائمة بين المستويات عمد الباحث التربوي علي آيت أوشان إلى الربط بين كل عنصر داخل مستويات النقل الديدانكتيكي بما يقابله من المستويات المكونة للمنهاج من الناحية السوسولوجية خاصة حسب الترتيب المقدم سابقا، ولتوضيح ذلك نقترح الترسيم التالية:



### 3 مظاهر النقل الديدانكتيكي:

إن مهمة انتقاء واختيار المادة التعليمية القابلة للتدريس ليس بالأمر السهل إذ تنتج عنه تبعات تتمظهر حسب الباحثة زهرة بوخاتي في تغيرات تطراً على المعرفة العاملة وهي<sup>28</sup>:

- إزالة الشخصية وتجريد المعرفة من الرواسب الذاتية: ترتبط المعارف لا محالة بزمان ومكان نشأتها وتكونها، ودراستها والعمل على نقلها يستوجب ضرورة تجريدها بإزالة شخصيتها من خلال حذف التعديلات الشخصية الذاتية والخلفيات النظرية الإيديولوجية والأخطاء والمسالك المتعرجة والطويلة فضلا عن استبعاد الترددات والعوائق الأستمولوجيا والحوافز الشخصية المرتبطة بالباحث أو المجتمع.
- إزالة بلورة المعرفة: تتسم المعرفة العلمية بالتكامل والنسقية (الوحدة) وينتج عن تجزيتها وتفكيكها لهدف تدريسها تشويه لها، مما يؤثر على فهمها وهذا ما يعاب على المواد الدراسية.



- إزالة سياق المعرفة/ تجريدتها من سياقها:

تمثل في حذف القانون الاستمولوجي للمعرفة العاملة وتغيير تاريخها وسيرورتها الداخلية، وتجريدتها من المشكل التي كانت تعالجه فضلا عن البحث في السياق العام الذي ترمي إليه، فالمفاهيم العلمية لا تأخذ معناها إلا داخل سياقها ومن هنا تتجلى أهمية اعتماد تاريخ العلوم حتى يدرك المستهدفون وظيفة العلم وكيفية تطور المعرفة.

- التبرمج:

ينبغي عند بناء مقرر دراسي مراعاة مستويات صياغة المفاهيم للمراحل النفسية ومستويات الإدراك المعرفي للمتعلّم فالمعرفة المدرسية مبنية ومقدمة وفق تطور الزمن، ونعني بالتطور داخل الزمن الوقت الأساسي للتعليم والتحصّل، وإذا لم يتحقق التعلّم المحدد لسن معينة فنستنتج إما فشل التلميذ أو المدرس، أو بصيغة قصوى فشل المنظومة التربوية.

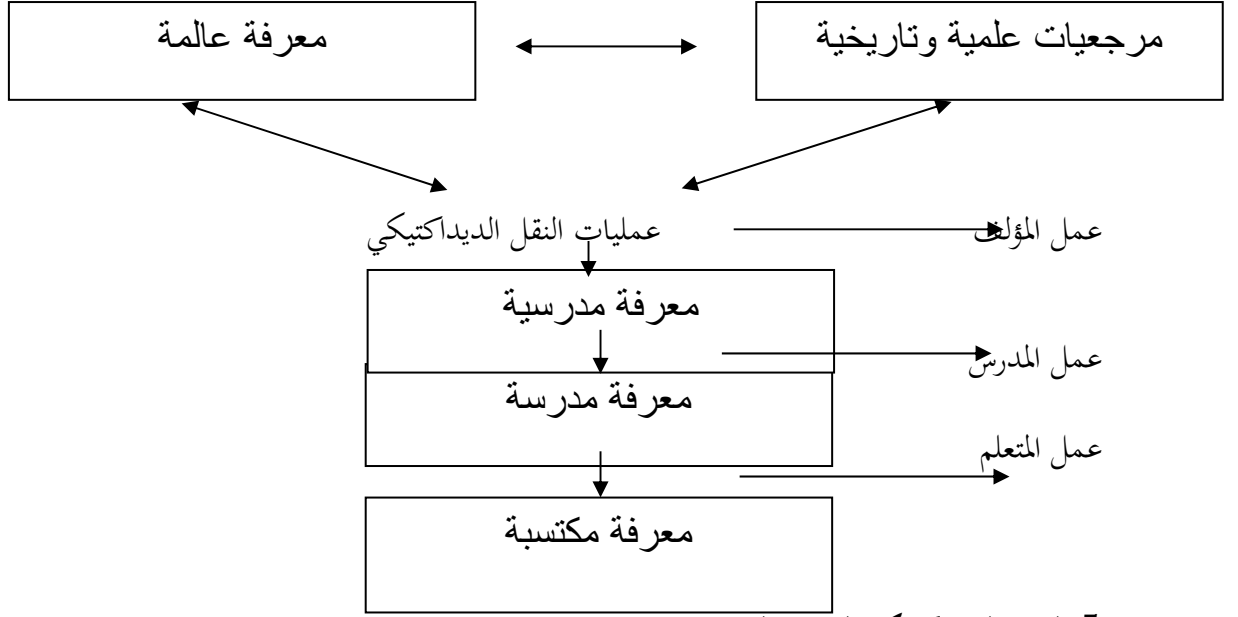
#### 4 النقل الديدانكتيكي والمتدخلون فيه:

يمكن تصنيف المتدخلين في النقل الديدانكتيكي حسب مراحلها على النحو التالي<sup>29</sup>:

- نقل المعرفة العاملة إلى معرفة قابلة للتدريس: وهي مسؤولية واضعي البرامج والمناهج والمقررات الدراسية ولجان تأليف الكتب المدرسية من أكاديميين ومفتشين ومدرسين يضطلعون بتنزيل المعرفة العاملة إلى المحيط المدرسي وفق معايير سيكولوجية وبيداغوجية وإستيمولوجية.
- نقل المعرفة القابلة للتدريس إلى معرفة مدرسة: وهنا يأتي دور المدرس الذي يضطلع بديكة<sup>30</sup> المعرفة القابلة للتدريس ليحوّلها إلى معرفة مدرسة وفق خطة ديدانكتيكية معلومة.
- المعرفة المكتسبة (أو المستوعبة): يمارس المتعلّم فعلا ذهنيا على كل ما يقدمه له المدرس، فهو يستقبل المعرفة بالإدراك والمقارنة والتفسير وإعادة تنظيم مكتسباته السابقة وفق تصور جديد قصد دمج ما تم تحصيله، آخذا بعين الاعتبار ما ينتظره منه أستاذه وفق عقد ديدانكتيكي ضمني أو صريح.



ولتوضيح هذه المراحل نستعين بالخطاطة التوضيحية التالية:



### 5 النقل الديدانكتيكي لدرس النحو

يقوم النقل الديدانكتيكي على تحويل المعرفة العالمة - في مجال علم النحو - إلى المعرفة المدرسة داخل سياق تربوي يروم تحقيق التعلم الذاتي لهذا العلم من قبل المتعلمين بأنفسهم أو بتوجيه من أساتذتهم العارفين بقواعد النحو وبطرائق تدبيره، غير أنه من الملاحظ وجود كم هائل من الظواهر اللغوية النحوية في مقررات المستويات الثلاث بالسلك الثانوي الإعدادي في مقابل غيابها التام في مقررات التعليم الثانوي التأهيلي - خاصة في الشعبة الأدبية - ما يبين أن ضبط هذه الأبواب النحوية يحتاج إلى وقت كبير، وإلى تفعيلها في درس النصوص ودرس التعبير تفعيلًا إجرائيًا بناءً، واعتمادها أداة في القراءة المنهجية، والوصول إلى معنى مستمر وبشكل فعال يحقق عند المتعلم تذوق بلاغة المعنى من خلال النحو؛ لأن تكرير القواعد يضمن ضبطها. والحاصل أن المتعلمين تنقطع علاقتهم مع درس النحو في المرحلة التأهيلية بسبب المنهجية المعتمدة في المقررات، وكأن النحو لا علاقة له بالبناء الجمالي والدلالي في النص الأدبي، ويعود في جانب منه إلى ضعف بعض المدرسين في النحو وعدم قدرتهم على توظيفه في التحليل والفهم والتأويل.

ويضيف الباحث محمد بازي في نفس المقال أن ضبط المادة النحوية الكثيرة يحتاج إلى عقل ناضج مدرك لآليات اشتغال اللغة، وأن يكون المتعلمون متمكنون من الكفاية التواصلية، والتعبير المكتوب والشفوي، أما الوضع الذي عليه المتعلمون اليوم من ضعف في الملكات اللغوية فلا يسمح بذلك أبداً. والنتيجة المنتظرة هي ما نراه من فشل في الإقبال على درس النحو والاهتمام به من قبل المتعلمين حتى يؤدي دوره الناجح في استقامة الألسن وسلامة التركيب، وتحقيق الملكات التعبيرية.



وعموماً فالنحو تأسس لتحسين اللغة من اللحن والخطأ، فحصل الاهتمام به من طرف القدامى من هذا المنطلق، أما الآن فقد أصبح النحو غاية في حد ذاته، لذلك اقترح الباحث محمد بازي حصول النقل الديدانكتيكي لعلم النحو في الكتاب المدرسي وفق التصورات التالية<sup>31</sup>:

- التخفيف عوض الإثقال أي التقليل من حضور النحو في الكتاب المدرسي؛ تغليب النصوص الراقية؛
- إرجاع مبدأ الحفظ والتذوق الجمالي للنصوص؛
- فتح مجال موسع للمطالعة الكثيرة وتنظيم منهجية القراءة؛
- اختيار النصوص المناسبة لكل مستوى؛
- تجنب النصوص الطويلة لما تتطلبه من وقت وجهد للقراءة والاستكشاف داخل الفصل، على حساب التناول اللغوي والنحوي والدلالي والجمالي؛
- الإدماج المنهجي للقواعد الضرورية في تحليل بعض النصوص؛
- تخلص درس اللغة من القواعد الكثيرة الخاصة بكل باب والاكتفاء بالأوليات مع تيسيرها وتبسيطها والإكثار من التطبيق.



## خلاصة:

تعرفنا خلال هذه الدراسة على مفهوم النقل الديدانكتيكي، ذلك المصطلح التربوي الذي يعنى بنقل المعرفة العاملة لتصير قابلة للتدريس، وعلمنا أن عملية النقل الديدانكتيكي تمر بمراحلها بمستويات أربعة، لذلك انطلقنا من هذا المبدأ لمحاولة إثبات العلاقة المتينة بين مستويات النقل الديدانكتيكي ومستويات المنهاج الدراسي، وانتهينا إلى أنه فعلا هناك علاقة مماثلة بين المستويين، حيث مائل على سبيل المثال لا الحصر المقرر المستهدف مستوى المعرفة العلمية كأقصى مستوى، وارتبط المنهاج المحصل بالمعرفة التي يكتسبها المتعلمون كأدنى مستوى.

وخلصنا إلى أن عمليات النقل الديدانكتيكي لا بد لها من الأخذ بعين الاعتبار بالمقتضيات الضرورية عند نقل المعرفة العلمية كإزالة الشخصية وتجريد المعرفة من الرواسب الذاتية، بالإضافة إلى إزالة سياق المعرفة لبناء المقرر الدراسي مع مراعاة مستويات الإدراك المعرفي للمتعلمين، وبالتالي يصبح النقل فعالا وقابلا للتدريس.

كذلك وخلصنا إلى أن النقل الديدانكتيكي ليس هو العامل الوحيد الذي يساهم في بناء المعرفة، إنما هو فقط مجرد المعرفة العلمية من إطارها العالم المتخصص الذي أنتجت فيه لتخضع للمقتضيات العامة للبرامج والمنهاج التربوية حسب مستويات المتعلمين الإدراكية، ولا بد كذلك أن يتفاعل كل قطب من أقطاب المثلث الديدانكتيكي لإنجاح عملية بناء المعرفة.

إن التحولات في الساحة التربوية الراهنة على الصعيد العالمي تتطلب من المنظومة التربوية المغربية تبني المقاربة بالكفايات، وبالتالي جعل المتعلم محور العملية التعليمية التعلمية، والنقل الديدانكتيكي ما هو إلا وسيلة لإيصال المعرفة وبنائها من طرف المتعلم.

كما وخلصنا إلى أن عملية النقل الديدانكتيكي لدرس النحو لم تكن ناجعة بالقدر الكافي الذي يجعل المتعلم مكتسبا لقواعد النحو نظرا لمجموعة من الأسباب كما ذكرنا سابقا، لذلك نعتقد أنه لا بد من العمل بالمقترحات المتبنية السابقة لتحسين جودة التعليم، خاصة الطرائق المعتمدة في تدريس المادة والنحو، والطرائق التربوية عامة.

فما الطرائق الكفيلة بإنجاح النقل الديدانكتيكي وبالتالي اكتساب قواعد النحو؟

## توصيات ومقترحات

استنتجنا من خلال هذا المقال الذي مهد الطريق لمعرفة ما يبني عليه مفهوم النقل الديدانكتيكي العنصر الكفيل بتيسير العملية التعليمية التعلمية ما يلي:

- وجوب الفهم الدقيق لمفهوم النقل الديدانكتيكي والعمليات المرتبطة به.





- ضرورة إعادة النظر في بعض العمليات المرتبطة بنقل المعرفة العاملة ( النحو) إلى معرفة مدرسة من قبل المتدخلين في هذا المجال؛ وذلك بهدف تيسير الفهم لدى المتعلمين.
- ضرورة تظافر جهود كل الفئات المتدخلة في العملية التعليمية التعلمية (المفتشين، المدرسين، واضعي البرامج والمناهج والمقررات الدراسية، لجان تأليف الكتب المدرسية...) لإنجاحها.
- ضرورة اعتماد مبدأ الكيف عوض مبدأ الكم أثناء صياغة الكتب المدرسية؛ والمقصود به التخفيف عوض الإثقال أي التقليل من حضور النحو في الكتاب المدرسي.
- الإدماج المنهجي للقواعد الضرورية في تحليل بعض النصوص.
- تخلص درس اللغة من القواعد الكثيرة الخاصة بكل باب والاكتفاء بالأوليات مع تيسيرها وتبسيطها والإكثار من التطبيق.

#### الهوامش:

- 1 "رائد الطلاب" مسعود جبران، ط 25، دار العلم للملايين، لبنان، 2003 ص 801.
- 2 "عودة إلى تعريف الديدائكتيك أو علم التدريس كعلم مستقل" مجلة التدريس، يناير 2011.
- 3 "الديدائكتيك والمقاربة بالكفايات المفاهيم والمرجعيات" تقديم د ماجدولين النهيي، ط1، أنفو برانت للطباعة والنشر والتوزيع، 2017 ص 19.
- 4 La Transposition Didactique du savoir savant au savoir enseigné Chvallard Y, la pensée sauvage 1991, p 39.
- 5 "الديدائكتيك مفاهيم ومقاربات" أحمد فاسي، جامعة عبد المالك السعدي، ص 9.
- 6 "النقل الديدائكتيكي" زهرة بوخاتي، مجلة التعليمية، مجلد 5، 15 سبتمبر 2018 ص 53.
- 7 "الخطاب الديدائكتيكي أسئلته ورهاناته" كورنو ل وفرينو أ ترجمة عز الدين الخطابي وعبد اللطيف المودني، ط1، منشورات عالم التربية، 2003 ص 72.
- 8 "الجامع في ديدائكتيك اللغة العربية مفاهيم مرجعيات مقاربات بيداغوجية" عبد الرحمن التومي، ط 16، مطبعة الأمنية، الرباط، 2020 ص 16.
- 9 "ديدائكتيك الكفايات" عبد الكريم غريب، منشورات عالم التربية، 2017 ص 122.
- 10 "تدريس المواد التعليمية" ميلود التوري، ط1، 2019 ص 116.
- 11 "الجامع في ديدائكتيك اللغة العربية مفاهيم مرجعيات مقاربات بيداغوجية" عبد الرحمن التومي، ط16، مطبعة الأمنية، الرباط، 2020 ص 22.
- 12 "مفاهيم الديدائكتيك العامة" جميل حمداوي، ط 15، منشورات حمداوي الثقافية، تطوان، 2018 ص 15.
- 13 Les modèles de l'apprentissage et les mathématique université de Genève, Dubois Laurent et Dagu Pierre-charles, 2005, source : <http://tecfa.ch/-laurent/didactique/theories.htm>.
- 14 "مفاهيم الديدائكتيك العامة" جميل حمداوي، ط 15، منشورات حمداوي الثقافية، تطوان، 2018 ص 41.
- 15 Développement social de l'inter édition, Doise. W. Mugny G, paris, 1981 , p 175.
- 16 "تدريس المواد التعليمية" ميلود التوري، ط1، 2019 ص 116.
- 17 "المعين في التربية" العربي اسليماني، 2014، ص 141.
- 18 "النقل الديدائكتيكي" زهرة بوخاتي، مجلة التعليمية، مجلد 5، 15 سبتمبر 2018 ص 53.
- 19 "النقل الديدائكتيكي" المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين للجهة الشرقية، سلسلة ندوات وأيام دراسية 2015، ص 10.
- 20 Le Temps des Etudes, Verret. M 1975.



<sup>21</sup> La Transposition Didactique du savoir savant au savoir enseigné Chvallard Y, la pensée sauvage 1991, p40.

<sup>22</sup> "الجامع في ديدانكتيك اللغة العربية مفاهيم مرجعيات مقاربات بيداغوجية" عبد الرحمن التومي، ط16، مطبعة الأمنية، الرباط، 2020 ص 15.

<sup>23</sup> "الديدانكتيك مفاهيم ومقاربات" أحمد فاسي، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، ص 10.

<sup>24</sup> المرجع نفسه ص 10.

<sup>25</sup> "تطوير مناهج التعليم" محمد الدريج، سلسلة المعرفة للجميع، العدد 32، منشورات رمسيس، 2005 ص 11.

<sup>26</sup> محاضرة افتراضية في "اللسانيات والأدب" علي آيت أوشان، مختبر الأبحاث التطبيقية في الأدب واللغة والفن والتمثيلات الثقافية، جامعة محمد الخامس الرباط، 2021.

<sup>27</sup> "تطوير مناهج التعليم" محمد الدريج، سلسلة المعرفة للجميع، العدد 32، منشورات رمسيس، 2005 ص 15.

<sup>28</sup> "النقل الديدانكتيكي" زهرة بوخاتي، مجلة التعليمية، مجلد 5، 15 سبتمبر 2018 ص 59.

<sup>29</sup> "تدريس المواد التعليمية" ميلود التوري، مطبعة الرباط نت، ط1، 2019 ص 14.

<sup>30</sup> \* الديدانكتيكي مصطلح قصد به ميلود التوري في نفس المرجع بما يضطلع به المدرس من نقل ديدانكتيكي.

<sup>31</sup> مجلة العربية مقال "معضلة النقل الديدانكتيكي لدرس النحو بالكتاب المدرسي" محمد بازي، المجلد 3، العدد 6، 15-12-2015، ص 113-114.